لنحب دائما.. لنحب أيضا!



لنحب دائماً.. لنحب أيضاً! (مختارات من الشعر الفرنسي)

ترجمة رضى القاعوري

لوحة الغلاف

للفنان التشكيلي عبد الله يوسف

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

ردمك 978-9953-87-614-6



ص.ب: 222 الصفاة

الرمز البريدي 13003 الكويت

البريد الإلكتروني: info@masaa.info

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.masaa.info



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 785108 - 785107 (961-1) - 786233

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

لنحب دائما.. لنحب أيضا!

مختارات من الشعر الفرنسي

ترجمة

رضى القاعوري





الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

المحتويات

فيكتور هيغو Victor Hugo

(1802-1885)

Charles Baudelaire شارل بودلير
(1821-1867)

Jacques Prévert جاك بريفير
(1900-1977)

إهداء

إلى رفيقة دربي

جورجيت جروج

أقدم هذا الجهد

استهلال

لم يكن هذا الكتاب ليرى النور لولا تحريض الروائية ميس خالد العثمان والكاتب الباحث عقيل يوسف عيدان، فهما اللذان شجعاني على ترجمة نصوص شعرية باللغة الفرنسية بل ألحّا عليَّ في ذلك، ووفرا لي مشكورين أكثر مما كنت أطمح إليه من دعم ومساندة.

وكنت أدرك مسبقاً أن نقل الشعر من لغته إلى لغة أخرى مخاطرة ما بعدها مخاطرة، إذ إن لغة الشعر تختلف عن لغة النثر في اللغة نفسها فكيف إذا كان النقل من لغة إلى لغة؟ فلكل لغة طبيعتها الخاصة ونظامها المستقل، ومن هنا كنت أتخوف من أن تسيء ترجمتي إلى النصوص من حيث أردت أن أُحْسِن. هذه المخاطرة تحولت فعلاً إلى مغامرة حين قررت أن أركب المركب الصعب، على أن أسير به بكل حذر في لجة المياه العاتية، ووضعت نصب عينيَّ هدفاً سامياً، وهو أنه في ظل ما يعتبره البعض صدام حضارات عليك ألا تقف موقف المتفرج، بل أن تغامر وأن تطرح الصدام أرضاً وتتبنّى شعار تلاقح الحضارات وتمضي قدماً مهما لاقيت من صعوبات، فالإنسانية واحدة في العالم كله، ولا مبرر للتنافر بل الأجدر بك أن تحمل راية اللقاء وتنطلق، ومن هنا كانت المغامرة.

كان عليَّ بادئ ذي بدء أن أختار الشعراء أولاً، ثم أختار النصوص الشعرية ثانياً، ولم ألقَ في اختيار الشعراء كبير عناء، فوجدتني أهرع فوراً لاختيار مَنْ أحببتهم من الشعراء الفرنسيين، من

دون أن يعني ذلك أنني لا أحب سواهم، أو أن سواهم من الشعراء ليسوا في الأهمية ذاتها، ولكن من اخترتهم هم المفضلون عندي خصوصاً أنهم يمثلون مراحل مهمة في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهي حقبة تمتد من العام 1802 (تاريخ ولادة فيكتور هيغو) إلى العام 1977 (تاريخ وفاة جاك بريفير)، وهذه المراحل تعكس طيف المدارس الأدبية والشعرية بوجه عام، من رومانسية فيكتور هيغو (1802-1885) مروراً بالرمزية (إذا جازت التسمية) عند شارل بودلير (1821-1867) إلى واقعية جاك بريفير (1900-1977).

اختيار النصوص كان هو الأصعب، ذلك أن الشاعر، وإن كان مبدعاً لا يكون متجلياً بالضرورة في كل قصيدة يكتبها، ولذلك فإن بعض قصائد شاعر ما تكون أقوى تأثيراً من بعضها الآخر وأشد وقعاً في نفوس الآخرين. فجميعنا يذكر قصيدة الشاعر الأميركي - الإنكليزي ت. س. إليوت "أرض الخراب" وما لها من شهرة، وكذلك قصيدة الشاعر الفرنسي لامارتين "البحيرة"، لكن هل نختار دائماً القصيدة الأفضل؟

في هذه المجموعة من القصائد، هدفت إلى أن أختار بعض الموضوعات المتشابهة عند هؤلاء الشعراء، سواء عند الثلاثة أو عند شاعرين اثنين منهم على الأقل إلى جانب حرصي على اختيار الأفضل، فأنا أحسب أن لكل شاعر رؤيا خاصة به في ما يتعلق بالموضوع نفسه، وبالطبع له لغته الخاصة وصورته الشعرية المتفردة، وأسلوب المدرسة الشعرية التي ينتمي إليها، ثم الزاوية التي ينظر منها إلى هذا الموضوع، فالأمكنة (الديار، البوادي، الحقول، الغابات مثلاً) والأزمنة (الصباح، الغروب، المساء، الليل مثلاً)، والأشخاص (المرأة، الشجاع، الكريم، البخيل، الجبان مثلاً) تختلف النظرة إليها باختلاف

رؤيا الشاعر، ولهذا جهدت أن أختار الموضوعات المتشابهة لنرى كيف تتمايز طرق التناول عند هؤلاء الشعراء.

وأخيراً، هل استطعت أن أنقل رؤيا الشاعر وأن أحافظ على أسلوبه في لغته؟ لن أدّعي ذلك، وإن كنت قد جهدت في أن أحقق هذا الهدف بعيد المنال، وحرصت ما استطعت على ترجمة السطر الشعري ونقل محتواه كما قصده الشاعر، فإن كنت قد وُفِّقتُ فهذا هو القصد، وإن لم أوفَّق فعذري أنني اجتهدت.

وفي الختام لا بد أن أشكر من ساهم في ظهور هذا الكتاب، وأخصّ بالذكر ابنتي فاتنة التي كان لها الفضل في طباعته وتنسيقه.

والله ولي التوفيق...

رضى القاعوري

الكويت 2008/6/11

فيكتور هيغو

Victor Hugo

(1885-1802)

البارحة مساء

Hier au soir

البارحة، حيث النسمة المداعبة، حمل إلينا
هواء المساء، رائحة الأزهار التي تفتحت أخيراً
كان الليل يخيِّم، والعصفور ينام في الظل الكثيف.
وكان الربيع يعطِّر الكواكب المشعة
أقلَّ من شبابكِ، أقل من نظرتكِ.

أما أنا فكنت أتكلم همس، إنها الساعة الاحتفالية
حيث الروح تحب غناء نشيدها الأكثر عذوبة.
الليل، يبدو رائقاً، وأنتِ تبدين أكثر جمالاً
قلتُ للكواكب الذهبية: اسكبـــي السماء فيها!
وقلتُ لعينيكِ: اسكبا الحب فينا!

مقاطع من قصيدة

الحياة في الحقول

La vie aux champs

في الريف مساءً نخرج ونتنـــزه

الفقير في حقله والغني في ميدانه

وأنا، أسير أمامي؛ الشاعر في كل مكان

أشعر بنفسي أنني معه، وأحسّ أنه في كل مكان مع الله.

أسير وحيداً بإرادتي، أتأمل أو أسمع.

مع ذلك، إذا كان أحد يرغب في أن يرافقني في الطريق،

فأنا أقبل. كل واحد عنده شيء ما في نفسه،

وكل إنسان كتاب خطّه الله بنفسه

في كل مرة يسقط من يديَّ كتاب من هذه الكتب

مخطوطة حيث تعيش روح ويُقفل القبر

أقرأه

كل مساء إذن، أتمشى، وأنا في إجازة،

أخرج، وفي أثناء سيري أمرُّ على أصدقائي

نتناول الشراب البارد، في وسط الحديقة كعائلة
الندى يبلل قليلاً المقاعد تحت الخميلة
لا يهم: أجلس ولا أعرف لماذا
كل الأطفال الصغار يتجمعون حولي.

بمجرد أن أجلس ها هم جميعهم يأتون.
إنهم يعلمون أن لديَّ رغباتهم، يتذكرون
أنني أحب الهواء مثلهم، الأزهار، الفراشات
والحيوانات التي نراها تَشُقُّ الأثلام

هم يعلمون أنني رجل أحبهم
كائن قريب منهم، يمكن أن نلعب معاً وأيضاً
أن نصرخ، ونفعل ضجة، ونتكلم بصوت عالٍ،
كائن، أضحك مثلهم وأكثر منهم أحياناً
واليوم، حالما أحضر لهوهم
أبتسم لهم أيضاً حتى ولو كنت حزيناً جداً
قالوا إنني لا أعرف الغضب، هؤلاء الأصدقاء الطيبون
عندما يلهون معي، أصنع
أشياء من كارتون، رسومات بالريشة،

أقصّ لهم في الوقت الذي يشتعل فيه المصباح
آه! قصصاً عذبة تجعلكم خائفين في الليل
وأخيراً، أنا إنسان طيِّب، لا متعجرف وتربيتي عالية.
أيضاً، حين يرونني يرددون: "ها هو!" والكل يجري
يتركون ألعابهم، الدولاب والكرة، ويحيطون بي
بعيونهم الجميلة الواسعة، عيون الأطفال، من دون خوف ولا ضغينة
التي تبدو دائماً زرقاء، إلى حدّ أننا نرى فيها السماء!

الصغار – عندما يكونون صغاراً، عندما يكونون شجعاناً –
يتسلقون على ركبتيَّ، الكبار وقورون
يحملون إليّ أعشاش الشحارير، التي حصلوا عليها
من الألبومات، من الأقلام التي تأتي إلى باريس
يستشيرونني، عندهم مئات الأشياء ليقولوها لي
نتحدث، نناقش، ونضحك أحياناً – أحب الضحك،
ليس الضحك الساخر والتهكمات الساخرة

ولكن الضحك العذب النبيل، يفتح الأفواه والقلوب
يُظهر في الوقت نفسه النفوس واللآلئ

أُعجب بالأقلام، والألبومات، وأعشاش الشحارير؛
وأحياناً عندما أُعجب يقولون
"إن رأيه كرأي السيد الراهب تماماً"
ثم، عندما يثرثرون معاً على هواهم
يتركون فجأة الكبار جالسين على مقعدي،
والصغار دائماً يحتشدون على ركبتي،
يخيِّم هدوء وهذا يعني: "فلنتكلَّم"

أتحدث إليهم عن كل شيء، أحاديثي تُزرع فيهم
فكري أو عملي. كما يحبونني، يحبون
كل ما أقوله لهم، أشير بإصبعي لهم
إلى السماء، إلى الله المتواري فيها، والنجم الذي نراه فيها أيضاً.
كل شيء، حتى نظراتهم تصغي إليَّ، أقول لهم:
كما يجب أن نُفكِّر، نحلم، نبحث. الله يبارك الإنسان،
ليس لنجده، بل لنبحث عنه.
أقول: أعطوا الصَّدَقة للفقير البسيط والجانح
تلقَّوا الدرس أو اللوم بهدوء،
فالعطاء، والأخذ يحييان النفس!

أروي لهم عن الحياة، وأن في آلامنا

يجب أن تكون الطيبة في أعماق انتحاباتنا

وفي أفراحنا، وفي جنوننا

يجب أن تكون الطيبة في أعماق ضحكاتنا

أن تكون طيِّباً، يعني أن تعيش الطيبة، وأن الخصومة

يمكن أن تطرد كل شيء من النفس، عدا الطيبة،

وأن الخبثاء أيضاً، في كرههم العميق،

مخطئون ومتهمون من الله، الله العظيم! لا إنسان في العالم

له الحق، إذا ركب هواه ومشى عليه،

أن يقول: إنك أنتَ الذي جعلتني خبيثاً،

فالخبيث إذن، سيدي، ليس ضرورياً لك!

النساء هنَّ على الأرض

Les femmes sont sur la terre

النساء هنَّ على الأرض

ليُجمِّلن كل شيء

العالم سر

يفسِّر قبلاتهن

إنه الحب الذي، كزُنّار(*)

للموجة وللقبّة الزرقاء

وحيث كل الطبيعة،

ما هو، في العمق، إلا زينة

كل الذي يلمع، يُقدّم للروح

عطره ولونه

إذا الله لم يكن قد خلق المرأة

فلن يخلق الزهرة

(*) Ceinture: زنار: حِزام يُشَدُّ به وسط الجسم.

ما جدوى أَلَقِكُنَّ

والياقوت الأزرق، من دون العيون الساحرة؟

والماس من دون الجميلات

ليس سوى حصى

وفي الخمائل الخضراء

تنام الورود واقفة

فاغرة أفواهها

لكي لا تقول شيئاً على الإطلاق

كل شيء ساحر أو حالم

يأخذ من النساء النضارة

اللؤلؤ الأبيض من دون حواء

من دونكِ، يا جميلتي المزهوّة

كله مشوَّه، وهو مشابه

لحبـــي الذي يهرب منك

فهو ليس سوى مرض

حيوان في الليل

إلى رجل ذاهب إلى الصيد

À un homme partant pour la chasse

أجل، الإنسان مسؤول وسيقدم حساباً يوماً ما،

على هذه الأرض حيث الظل والفجر لهما دورهما

كن مسؤولاً أمام الله، لكن مسؤولاً شريفاً

يرتجف من كل تجاوز السلطة على الحيوان

هل تتصوّر إذن أنك ستكون مثل هذا الهدف النهائي

الذي يجعلك من دون خوف تصبح شيطانياً،

شرِهاً، شهوانياً، محبّاً للذات، مفترساً،

تقصم ظهر الحمار، تضني الفرس

باستخدامه وقد سمَّنت عينيه صعوة الحطب(*)

وإتلاف الغابات ثلاث مرات أو أربعاً في السنة؟

هذا الصياد المنتشي والمسلَّح ببندقيته أو فخِّه

يقارب القاتل ويلامس المدنَّس.

(*) Ortolan: صعوة الحطب: عصفور صغير يحط عادةً فوق عينيّ الحيوان وينقرهما بمنقاره.

فكِّر هذا هدفك، عش، هذا حقك.

أن تقتل لتلتذَّ، لا. هل تعتقد أنه مهما يكن

كي تعطي طُعماً أفضل لطائر السُّماني

أن الشمس تضيف قُبَّرة إلى نبات القُرّاص(*)

تلوّن ثمر التوت أو تجعل حبة شجرة الغُبَيْراء حمراء؟

الله الذي خلق العصافير لم يخلق الصَّيد.

(*) Ortie: قُرّاص: جنس نباتات ذات شوك ينشب في اليد إذا مسَّتهُ.

إلى شاعر

A un poète

صديقي، أخفِ حياتك واسكب روحك

أرض، حيث العشب يزهر بتنوّع؛
وديان حيث نرى فيها قطعان ماعز بيضاء تتسلّق
وادٍ صغير، مختفٍ تحت شبكة من أغصان
مليئة بأعشاش العصافير، بالهمهمات، بالأصوات،
يحركها هواء سعيد، حيث يسقط أحياناً،
كورقة نَقْدٍ رمتها يد خفية،
شعاع شمس في روحك الخفية؛
بعض صخور، صفّها الله بمهارة
لتخلق الأصداء في قلب الغابة النائمة
هذا ما يجب عليك فعله كمأوى وكمنـــزل
هناك - بيتك يغني، يحب، يضحك أو يبكي -
لكي تعيش، أخْفِ سقف منـــزلك، ضع حدوداً لأيامك

أرسلْ بعد جُهدٍ تنهيدة إلى الكهوف الصمّاء

اسْتَجْلِ في فكرك الداخلي والمعتم

الحياة المظلمة والعذبة والساعات اللامعدودة

فضلاً عن أن هذا جيد، أدر من دون اضطراب ولا ندم

قلبك نحو الأطفال، وروحك نحو الموتى!

ثم، في الوقت نفسه، بالمصادفة، عبر العالم

اتَّبع هواه المَهيب المتشرّد

بعيداً عنك، فيما وراء أفقك القرمزي

دعْ شِعْرك يعبر الشمس الساطعة!

في المدائن المبحوحة، في الحقول الصامتة

ملامساً في عبوره شفاهاً وجراراً

دعه يتدفق، بلّوراً لم يُكدَّر أبداً

واهرب، دائماً نحو الله، نحو اللّجّة اللانهائية

هدوء وصفاء واهرع، عبر الأرواح الخصبة

تيار واسع من الأحلام والأفكار

يجني وهو عابر في موجه الاحتفالي

كل ماء يخرج من الأرض أو ينـــزل من السماء!

أما أنتَ فكن سعيداً في الظل، في حياتك المجهولة

في سكينتك الجليلة والمقدسة،

ابقَ لاجئاً، مفكراً ملغزاً!

بحيث يستطيع المسافر المريض والرصين

أن يستمدَّ منك السلام، والأمل الرزين،

ونسيان التعب ونسيان الخطر.

أنتِ ترينني طيباً، ساحراً وعذباً

Tu me vois bon, charmant et doux

أنتِ ترينني طيباً، ساحراً وعذباً، يا جميلتي

أخطائي ليست مرتكبة من طرفكِ

كل شيء بسيط. الحب، المنبعث من الضوء،

يحوِّل الكهف إلى معبد، والكوخ إلى قصر،

العوسج إلى دفلى، والإنسان إلى نصف إله

هكذا أنا، حالم كثيراً وأقل قدراً

لن أزعجكِ كثيراً لأن ثغركِ

يمنعني من قبلة يا جَفولتي الجميلة

وهذا ما يكفيني تحت السماء المرصعة بالنجوم

مثل بترارك لور ومثل أوراس إيغليه

أحبك، من دون الحب نادراً ما يوجد الإنسان.

آه! نسيت تحت قدميك الوطن والحرب

فأنا لن أكون أكثر من حالم تائه.

حرية!

Liberté!

بأي حق تضعون العصافير في الأقفاص؟

بأي حق تقتلعون المغنّين من الغابات؟
من الينابيع، من الفجر، من السحابة، من الرياح؟
بأي حق تسرقون الحياة من هؤلاء الأحياء؟
أيها الإنسان، هل تعتقد أن الله، هذا الأب، خلق
الجناح لتعلقه على مسمار نافذتك؟
ألا تقدر أن تعيش سعيداً وفرحاً من دون كل هذا؟
ماذا فعل إذن كل هؤلاء الأبرياء
ليكونوا في طوق مع أعشاشهم وإناثهم؟

من يعلم كيف يختلط مصيرهم بمصيرنا
من يعلم إذا كان عصفور الخضيري الذي نسرقه من بين الأغصان
من يعلم إذا كانت التعاسة التي نسبّبها للحيوانات

وإذا العبودية الضارة للدواب

لا تعادل نيرون فوق رؤوسنا؟

من يعلم أن الغُلّ لا يخرج من قيوده

أوه! من جراء أفعالنا من يعلم ماذا سيحدث من ردود أفعال

وأي تقاطعات سوداء لها في السر الخفي

مقدار من أشياء نفعلها على الأرض ونحن نضحك؟

حينما تُخفي تحت شبكة من الحديد

كلّ هؤلاء الذين يحتسون السماء الزرقاء المخلوقين لينتشوا بالهواء

كل هؤلاء السباحين الجميلين بالضوء الأزرق،

الحسون، الشُرشور، الدوري الخالص، الأم سكعكع

هل تعتقد أن المنقار المدمى للجوائيم

لا يؤثر في الإنسان عندما يصطدم بهذه القضبان؟

احترس من العدالة المعتمة. احترس!

في كل مكان حيث يبكي أسير ويصرخ، فإن الله يرى.

ألا تفهمون بأنكم خبثاء؟

لكل هؤلاء المساجين أعطوا مفتاح الحقول!

في الحقول تكفِّر العنادل، والسنونوات،
والأرواح عن كل ما فعلناه بأجنحتها.
الميزان الخفي له كفّتان مظلمتان.

احترس من الزنازين التي تُزيِّن جدرانك!
من العريش الذهبي تولد الشِّباك السوداء
المطْيَرة الشؤم هي أم العبودية
احترمْ فضاء المارّين الطيِّبين، والمروج والمياه!
كلّ الحرية التي سلبناها من العصافير
ليُعاد المصير العادل والصارم إلى الناس
عندنا طغاة لأننا نحن طغاة

أتريد أن تكون حرّاً أيها الانسان؟ فبأي حق يكون
عندك مسجون، هذا الشاهد المرعب؟
الذي نعتقده من دون مرافعة هو محرَّم في الظل.
كل هذه الأبعاد الشاسعة على هذا العصفور المسكين الكئيب
تنحني، وتجعلك تنذر نفسك للاستغفار
استغرب منك، أيها الطاغي وأنت تصرخ: اضطهاد!

يأخذك القدر عندما يشتد جنونك

هذا المحكوم بالأشغال الشاقة الذي يرمي عليك ظل العبد

والقفص المعلّق على عتبة المنـــزل

نراه يغني ويُخرج السجن من الأرض.

ذاتَ مساءٍ كنتُ أنظر فيه إلى السماء

Un soir que je regardais le ciel

مبتسمة، قالت لي، ذات مساء:

– لماذا تتأمل من دون انقطاع يا صديقي

النهار الذي يهرب، أو الظل الذي ينخفض،

أو الكوكب الذهبـــي الذي يصعد إلى الشرق؟

ماذا تفعل عيناك هناك في الأعلى؟ أطالبها.

دعي السماء، وانظري في روحي!

في هذه السماء الشاسعة ظِلٌّ يُبهجكِ

حيث نظراتكِ غير المحدودة تمتد لتقرأ

ماذا تعلمكم على وجه التقريب بسمتي؟

ماذا تعلمك على وجه التقريب قبلاتي؟

أوه! من قلبـــي ترتفع الأشرعة الطاهرة،

لو كنتِ تعلمين كم هو مملوء بالنجوم!

كم من الشموس ترين عندما نُحب،
كل شيء فينا منظر مشع.
الإخلاص، المشع على العوائق
بمنـــزلة فينوس التي تتلألأ فوق الجبال.
السماء الواسعة الصافية لا شيء، فأنا أُشهدها
السماء التي في روحي أكثر سماوية!

إنه شيء جميل أن نرى كوكباً يتألق.
العالم مملوء بالأشياء العجيبة.
حلو هو الفجر وحلوة هي الورود
وليس هناك ما هو أحلى من سحر الحب!
النور الحقيقي والشعلة الفضلى،
إنه الشعاع الذي يمضي من روح إلى روح!

الحب هو الأفضل، في قاع الكهوف الندية
من هذه الشموس التي نجهلها والتي نُسمِّيها.
الله وضعه، عالماً بأنه يوافق كل إنسان
السماء بعيدة جداً والمرأة قريبة.

إنه يقول للذين يتفحصون السماء الداكنة:

"عيشوا! أحبوا! والباقي هو ظلي!"

لنحبّ! هذا كل شيء، والله يريد ذلك أيضاً.

دعي سماءك بإشعاعاها الذهبية!

فسوف تجدين في عينين تعبدانكِ

كثيراً من الجمال، كثيراً من الضوء أيضاً!

الحب هو النظر، الشم، الحلم، الإدراك.

النفس الكبيرة تُضاف إلى القلب الأكثر رقة.

تعال، يا حبيبي! ألا تسمع دائماً

في تنقلاتنا معزوفة غريبة؟

حولنا تتبدّل الطبيعة

وقيثارة تغني غرامياتنا

تعال! فلنحب بعضنا! لنشرد على المرجة الخضراء

لا تحلم أبداً بالسماء! فأنا أغار منها!

كل شيء أيضاً يهمس: يا حبيبتي

بجبينه الملقى في يده البيضاء

وعينه الحالمة كملاك ينحني

وصوته الوقور وهذا هو الجو الذي يسرّني؛

جميل وهادئ، ولكي يراني ساحرة

أيضاً كل شيء يهمس يا حبيبتي.

قلوبنا تخفق؛ النشوة تخنقني؛

أزهار المساء فتَّحت تويجاتها

ماذا تفعلين أيتها الأشجار بأحاديثنا؟

بتنهداتنا، أيتها الصخور؛ ماذا تفعلين

إنه قدر أكثر حزناً من قدرنا

لأن هذا اليوم يمضي كالآخر!

أيتها الذكريات! يا كنـــزاً في الظل الكثيف

يا أفقاً معتماً في الأفكار القديمة!

يا ضوءاً غالياً للأشياء المحجوبة!

يا إشعاعاً للماضي المختفي!

كعتبة وخارج معبد،

تتأملكِ حدقة الروح وهي تحلم

عندما تحل الأيام الجميلة مكان الأيام المريرة

بكل سعادة يجب أن ندع فكرة أن:

الأمل عندما يكون فارغاً

علينا أن ندع الكأس تسقط في أعماق البحار

النسيان! النسيان! إنه الموج حيث كل شيء يغرق؛

إنه البحر المعتم حيث نرمي فرحنا.

روحي تشتعل فيها النار

Mon âme a plus de feu

بما أنني وضعت شفتيّ على كأسك الملآن

بما أنني وضعت جبهتي الشاحبة بين يديك

بما أنني تنشقت مرة النفَسَ العذب

من روحك، ذلك العطر المتوحد بالظل

بما أنه أُتيح لي أن أسمعك تقولين لي

كلمات حيث يفيض القلب المكتنف بالأسرار

بما أنني أُراني أبكي، بما أنني أُراني أبتسم

ثغرك على ثغري وعيناك في عينيّ

بما أنني أُراني أضيء فوق رأسي المفتون

شعاعاً من كوكبك، واحسرتاه! المحجوب دائماً

بما أنني أُراني أقع في موجة حياتي

بَتَلَة وردٍ منـــزوعة من أيامك

أستطيع الآن أن أقول للسنين السريعة
امضي! امضي دائماً! فليس لديَّ ما يجعلني أشيخ
اذهبـــي مع أزهارك الذاوية
فأنا أملك في روحي وردة لا تُقطف أبداً!

جناحك حين يُصدم لا يُريق أبداً
كأساً منها أرتوي وأملأها جيداً
روحي تشتعل فيها النار بينما ليس لديك رماد!
قلبـــي مملوء بالحب بحيث لا يمكن أن تنسيه أبداً

ضوء القمر

Clair de lune

القمر كان رائقاً وكان يرتع على الأمواج

والنافذة غدت طليقة ومشرّعة على النسيم

وزوجة السلطان تنظر، والبحر يتكسَّر

هناك، عن موجة فضيّة توشّي الجزر السوداء

من أصابعه وهي تهتز تثب القيثارة.

إنه يُصغي... ضجة مخنوقة تضرب الأصداء الصمّاء.

هل هو مركب تركي ثقيل هذا الذي يأتي من مياه

ضارباً الأرخبيل اليوناني بمجذافه الوسط آسيوي؟

هل هي طيور الغاق(*) التي تغطس بالتناوب،

وتقطع الماء، الذي يجري كاللآلئ على أجنحتها؟

هل هو جنِّي الذي يصفر في الأعلى بصوت ضعيف،

ويرمي في البحر شرفات البرج؟

(*) Cormoran: غاق: جنس طيور من الفصيلة البجعية.

مَن يجعل الأمواج تضطرب قرب سراي النساء؟
لا طير الغاق الأسود يتهدهد على الموجة.
لا أحجار الجدار، ولا ضجة إيقاعية
لمركب ثقيل يدب على الموجة بمجاذيفه.

إنها حقائب ثقيلة، تنطلق من الشهقات
سنراها، حينما نسبر البحر الذي يحملها
تتحرك في أحضانه كهيئة بشرية...
القمر كان رائقاً وكان يرتع على الأمواج

على الشبَّاك.. في الليل

À la fenêtre, pendant la nuit

النجوم، نقط ذهبية، تخرق الأغصان السوداء

الموج الزيتي الثقيل يفسد نسيجه المتعرج

على المحيط الشاحب

الغيوم لها هيئة العصافير الهاربة

أحيانا تتكلم الرياح، وتقول كلمات من دون أن تكملها

كرجل نائم

كل شيء يذهب. الطبيعة جرَّة غير مُحْكَمة.

العاصفة زَبَدٌ والشعلة دخان.

لا شيء خارج اللحظة

الإنسان ليس سوى ما يأخذه ويناله ويحتفظ به.

هو يسقط ساعة بعد ساعة، ويتلف، وينظر إلى

العالم، سقوط

هل الكوكب هو النقطة الثابتة في هذه المعضلة المتحركة؟

وهذه السماء التي نراها ستكون دائماً هي نفسها؟

ستكون دائماً؟

وهل على جبين الإنسان تفسيرات أبدية؟

وسيرى دائماً الحراس أنفسهم

يصعدون الأبراج نفسها؟

غداً من الفجر

Demain, dès l'aube

غداً، من الفجر، في الساعة التي يبْيَضُّ فيها الحقل
سأنطلق. أترين، أنا أعلم أنك تنتظرينني
سأشرد في الغابة، في الجبل
فأنا لا أستطيع أن أبقى بعيداً عنك طويلاً

سأمشي وعيناي مسددتان على أفكاري
من دون أن أنظر خارجاً، من دون أن أسمع أي ضجة
وحيداً، مجهولاً، الظهر منحن، واليدان مكتوفتان
حزيناً، والنهار عندي سيصبح كالليل

لن أنظر إلى ذهب المساء الذي يتراخى
ولا إلى الغِلالات المنحدرة صوب هارفلير
وعندما أصل، سأضع على قبرك
باقة من الهو(*)، ومن الخلنج(**) المزهر

(*) Houx: بَهْشيَّة: جنس شجر حرجي.

(*) Bruyère: خَلَنج: نبات من الفصيلة الخَلَنْجيَّة زهرُها بنفسجي ويعيش بخاصة في الأرض الرملية.

في الغابة

Au bois

كنا، أنا وهي، في شهر نيسان هذا الساحر

في حالة حُبّ بدأ بالانبهار.

أيتها الذكريات! أيها الزمن! الساعات السَّكرى!

كنا نسير والقلب مملوء بنشوة غريبة

معاً في الغابات، واليد في اليد.

كنا نترك الطريق العام لنتمشى في الدرب الوعر

وكنا نترك الدرب الوعر لنتمشى على الأعشاب.

كانت السماء تتألق بنظراتها الرائعة؛

كانت تقول لي: أحبّك! وكنت أشعر بوجود الله.

أحياناً، قرب نبعة، كنا نجلس قليلاً

كم مرة عرَّضتُ جيدها لأغصان الشجرة!

خجولة وتبدو كحوريات المرمر،

أنت تغسلين رجليك العاريتين البيضاوين كالحليب.

ثم كنا نتَّحد كحالمين. كان يبدو لي،
ونحن ننظر حولنا، أن أزهار اللولو،
وأزرار الذهب فَرِحَةً، ونبات العَضاب الخفي
واللبلاب النديّ قد سُقي بالماء العذب،

وأن هذه الأزهار الصغيرة كانت كل القبلات
المنهمرة في مسيرة فمي نحو فمكِ
أثناء سيرنا؛ والكهف الجفول
والعوسج الوحشي والصخر الأملس والأسود
بحسد تمتمتْ: ماذا تقول هذا المساء
ديانا للعيون الطاهرة، الآلهة المرصعة بالنجوم،
حينما ترى كل العشب في عمق الغابة التي تطأها قدماها؟

قال القبر للوردة

La tombe dit à la rose

قال القبر للوردة:

ماذا تصنعين بالندى الذي

يسقيكه الفجر يا زهرة العشاق؟

قالت الوردة للقبر:

ماذا تصنع بمن يسقط

في هوّتك المفتوحة دائماً؟

قالت الوردة: أيها القبر المظلم

من هذا الندى أصنع في الظل

عطراً من العنبر والعسل

قال القبر: أيتها الوردة النائحة

من كل نفس تصلني

أصنع ملاكاً للسماء!

كانت شاحبة ثم أصبحت وردية

Elle était pâle, et pourtant rose...

كانت شاحبة ثم أصبحت وردية

صغيرة ولها شعر طويل

كانت عادة تقول: لا أجرؤ

و لم تكن أبداً تقول: أريد.

في المساء، كانت تأخذ توراتي

لتعلّم أختها،

وكمصباح ساكن،

كانت تضيء هذا القلب الشاب.

على الكتاب المقدس الذي أُعجبُ به

كانت عيناها الرائعتان مثبتتين؛

كتاب حيث عين تتعلم القراءة

وعين تتعلم التفكير!

على الطفلة التي لا تُحسن القراءة وحدها
انحنت بجبينها الساحر
كأنها جدَّة
وهي تتكلم بهدوء

كانت تقول لها: كوني عاقلة!
من دون أن تسمِّي الشيطان أبداً؛
يداها تفتح صفحة بعد صفحة
على موسى وعلى سليمان

على سيريس الذي جاء من بلاد فارس
على مولوخ وليفياثان،
على جهنم التي اجتازها يسوع المسيح
على الجنّة التي انحدر منها الشيطان

أنا، كنت أُصغي... أيها الفرح فائق الحد
أن ترى الأخت بقرب الأخت!
عيناي كانتا تنتشيان بصمت
بهذه العذوبة الفائقة الوصف.

وفي الغرفة المتواضعة الخاوية
حيث ندرك أن الثلاثة يتخفون جميعاً،
يدخل من خلال النافذة المفتوحة
عصف رياح الليالي والغابات

فيما، في النص المهيب
قلوبهم، وهم يقرأون بورع
يغترفون الجمال، الحق، العدل
كان يبدو بالنسبة إليَّ حالماً

أسمعهم ينشدون المدائح
حولنا، كأنهم في مكان مقدس،
وأنظر تحت أصابع هؤلاء الملائكة
يرتعش كتاب الله!

لنحبّ دائماً! لنحبّ أيضاً!

Aimons toujours! Aimons encore!

لنحبّ دائماً! لنحبّ أيضاً!

عندما يذهب الحب، يهرب الأمل.

الحب هو صرخة الفجر

الحب ترتيلة الليل.

ما تقوله الموجة للشواطئ

ما تقوله الريح للجبال الشائخة

ما يقوله الكوكب للغيوم

إنه الكلمة التي لا يعبّر عنها: لنحب

الحب يجعلنا نحلم، نعيش ونؤمن

ونيه لكي يدفئ القلب

شعاع أهم من المجد

وهذا الشعاع هو السعادة!

أُفضِّل الفضائل حيث تنتشي
كبرياء الجندي أو الملك
الظل الذي تصنعه على كتابي
عندما جبينك ينحني نحوي

كل طموح مشتعل
في فكرنا، جمر ثاقب
يسقط رمادا أو يحلّق دخاناً
ويقال: "ماذا تبقَّى منه؟"

بكل فرح، زهرة بالكاد تتفتح
في نيساننا المظلم والمتكدّر
تتساقط بتلاها وتموت، زنبقة، آس أو ورد
ويقال: "هذا انتهى إذن!"

الحب وحده يبقى، أيتها المرأة النبيلة
إذا أردت في هذا المُقام الحقير
أن تصوني إيمانك، أن تصوني روحك
صوني ربَّك، صوني الحب

احفظي في قلبك، من دون أن تخافي شيئاً
صامدة.. باكية ومتألمة
الشعلة التي لا تقدر على أن تنطفئ
الزهرة التي لا تقدر على أن تموت

قشة العشب، تهتز باضطراب أبدي

تتدجن وتصبح مقرَّبة لي،

ومن دون أن أتبيَّن أنني هنا، فإن الورود

تفعل بنواقيسها كل أنواع الأشياء؛

أحياناً من خلال أغصانها المباركة.

أقدم وجهي بأكثر مما ينبغي نحو الأعشاش

والعصفور الصغير، والأم القلقة والطاهرة

لا تخاف مني فنحن لا نُخيف.

نحن، إذا كانت عين الله الطيب تنظر في عيوننا؛

الزنبق المتصنع الحياء يراني أقترب من دون غضب

عندما يتفتح على قبلات النهار؛ والبنفسج

الأكثر حياء يتجمَّل أمامي

وأنا لهذا الجمال صديق كتوم وأمين

والفراشة الندية، زنديقة السماء الصافية،

التي ترتشف بحبور زهرة نصف عارية،

إذا مررتُ في الظل وتابعتُ،

و... إذا أرادت الزهرة أن تختبئ بين الأعشاب

يقول لها: "هل أنتِ حيوان؟! إنه من البيت".

شارل بودلير

Charles Baudelaire

(1867-1821)

أحزان القمر

Tristesses de la lune

هذا المساء، بمزيد من الكسل يحلم القمر
مثلما تحلم حسناء مسترخية على عدة وسائد
وهي تداعب بيد شاردة ورشيقة
محيط نهديها قبل أن تنام

* * *

على ظهرها الصقيل ركام رخو
محتضرة، تستسلم لإغماءات طويلة
وتجيل عينيها على رؤى بيضاء
تتصاعد في سماء صافية كالإزهار

* * *

أحياناً، على هذا الكوكب، في ذبولها المتلاشي
عندما تترك الحسناء دمعة خفية تجري
يأخذ شاعر ورع عدوٌّ للنوم

في تجويفة يده تلك الدمعة الشاحبة

ذات البريق المتقزّح كقطعة من عين هر

ويضعها في قلبه بعيداً عن عيون الشمس

* * *

اعتراف

Confession

ذات مرة، يا امرأة عذبة وجذابة
كان ذراعك الأملس يستند إلى ذراعي
(في أعماق نفسي المعتمة،
هذه الذكرى ليست شاحبة أبداً)

كان الوقت متأخراً، كوسام جديد
وكان ضوء القمر ينتشر
واحتفال الليل كنهر نائم
ينساب على باريس

وعلى طول البيوت، تحت بوابات العربات
كانت تمر قطط خلسة
بأُذنٍ راصدةٍ، أو كظلال عزيزة
تصحبنا ببطء

فجأة، وسط الألفة الطليقة

يتفتح على الضوء الشاحب

منكِ، غِنَى الآلة ورنتها حيث لا تهتز

سوى البهجة المتألقة

منكِ، وضوح البوق وابتهاجه

في الصباح المتلألئ

علامة النحيب، علامة الغرابة

هربتا مترنحتين

وكطفلة هزيلة، فظيعة، كئيبة، مقزّزة

تخجلها عائلتها

وتستمر لمدة طويلة تخفيها عن العالم

في سرداب خفيّ

أيها الملاك المسكين.. كانت تغني، علامتك الصائحة:

"في هذه الحياة الدنيا لا شيء أكيداً،

وأنه دائماً مع بعض الاهتمام المزخرف

تفضح أنانية البشر نفسها؛

إنها مهنة قاسية أن تكوني امرأة جميلة

وإنه العمل التافه

لراقصة مجنونة وباردة يُغمى عليها

في ابتسامة آلية،

أن نبني على القلوب هو شيء غبي

ليتكسر كل شيء، الحب والجمال،

إلى حد أن النسيان يشلحهما في سلته

ليعيدهما إلى الأبدية!"

عادة كنتُ أوقظ هذا القمر العزيز

هذا الهدوء وهذا الفتور

وهذا البوح المرعب الهامس

في كرسي اعتراف القلب.

أغنية العصر

Chanson d’après-midi

مع أن حاجبيك ماكران

فهما يعطيانك مظهراً غريباً

ليس مظهر ملاك بالطبع،

أيتها الساحرة ذات العينين الفتانتين

* * *

أهيم بك يا العابثة بي

يا حبـــي المرعب

بكل تفاني الراهب

تجاه معبوده

* * *

الصحراء والغابة

تعطّران جدائل شعرك الخشن

رأسك له شكل

اللغز والسر

* * *

على جسمك يجول العطر
كما يجول حول مبخرة
أنت فاتنة كمساء
أيتها الحورية الغامضة والدافئة

* * *

آه! شراب المحبة الأكثر قوة
لا يساوي كسَلكِ
وأنت تعرفين المداعبة
التي تحيي الأموات

* * *

وركاك محبيان
ظهرك ونهداك
وأنت تسلبين الأرائك
بجِلْساتك الذابلة

* * *

أحياناً، كي تهدّئي
غيظك الغامض
أيتها الوقورة
تجزلين العطاء

* * *

أنت تمزقينني، يا غسقي

بابتسامة ساخرة

ثم تضعين على قلبي

عينك الحلوة كالقمر

* * *

تحت حذائك الصقيل

تحت فتنة رجليك الحريريتين

أضع فرحي الكبير

وعبقريتي ومصيري

* * *

بكِ تشفى روحي

بك، الضوء واللون

وانفجار الحرارة

في "سيبيرياي" السوداء

أغنية خريفية

Chant d'automne

قريباً نغوص في الظلمات الباردة
وداعاً، يا ضوء أصيافنا القصيرة الحي
الآن أسمع مع الصدامات المحزنة
أصوات الخشب المدوي على بلاط الساحات

كل الشتاء يعود في كياني: الغضب،
الكراهية، الارتعاش، الرعب، العناء القاسي والمرغم،
وكالشمس في جحيمها القطبي
يغدو قلبـــي كتلة حمراء متجمدة

أسمع وأنا أرتعد كل حَطَبَة تسقط
الإصقالة(*) التي نصبوها لا صدى أصمّ لها

(*) إصقالة: ما يربطهُ المهندسون من الأخشاب والحِبال ليصلوا بها إلى المَحالّ المرتفعة.

روحي شبيهة بالبرج الذي ينوء
تحت ضربات كَبْشٍ لا يكلّ، وهو ثقيل

يبدو لي، أنني مهدهد بهذا الصدام الرتيب،
عندما نسمِّر بسرعة فائقة تابوتاً في جهة ما
لمن؟ سابقاً كان الصيف، والآن هذا هو الخريف!
هذه الضجة الملغزة ترن كما الرحيل.

أحب من عينيك الواسعتين الضوء الأخضر
أيتها الجميلة، ولكن طيلة النهار يعكر صفوي،
لا شيء، لا حبك، ولا صالون السيدات، ولا الموقد،
تعادل الشمس المشعة على البحر

ومع ذلك أحبيني، أيها القلب الحنون! كوني أُمّاً
حتى لجاحد، حتى لخبيث
مُحِبَّةً أو شقيقة، كوني العذوبة الزائلة
لخريف رائع أو لشمس غافية

مهمة قصيرة! القبر ينتظر؛ إنه متلهِّف!

آه! دعيني وأنا أضع جبيني على ركبتيك،

أتذوق، وأنا أتحسَّر على صيف أبيض وحارّ،

شعاعاً أصفر وعذباً من فصل سابق!

الألباتروس

L’Albatros

أحياناً، كي يتسلى البحارة

يُمسكون طيور الألباتروس، وهي طيور بحرية ضخمة

كسولة، رفيقة السفر

تتبع السفينة التي تنساب على لجة المياه

* * *

بصعوبة حملوها على الألواح الخشبية

هذه الطيور المسماة ملوك السماء، حمقاء وخجولة

تترك بشكل مثير للشفقة أجنحتها البيضاء الضخمة

كالمجاذيف تُسحب بجانبها

* * *

هذا المسافر المجنح، كم هو هامشي وضعيف

الذي، كان جميلاً منذ قليل، كم هو قبيح ويثير السخرية!

أحد البحارين أزعج منقاره بغليونه القصير

الآخر قلد وهو يعرج العاجز الذي كان يطير

* * *

الشاعر يشبه أمير السرب

الذي يعاشر العاصفة ويهزأ برامي السهام

منفي على الأرض وسط صياح الصيادين

وجناحاه العملاقان يمنعانه من السير

* * *

الإوز

Le Cygne

إلى فيكتور هيغو

أندروماك(*)، أفكِّر فيك! هذا النهر الصغير،

مرآة فقيرة وحزينة، حيث تألّق في سالف الزمان

جلال آلامك الممتدة المحرومة

هذا المتاجر الكذاب الذي نما بدموعك،

أخصب فجأة ذاكرتي

كما لو أنني كنت اجتزت ملعب الفرسان

باريس القديمة (شكل مدينة

يتغير بسرعة، واحسرتاه!) ليست سوى قلب ميِّت

لا أرى في نفسي سوى مخيّم من الأكواخ

هذه الكومة من الخيمات المصممة وجذوع العواميد،

(*) أندروماك: بطلة أسطورية يونانية زوجة هكتور.

والأعشاب، والقوالب الضخمة المخضرة بماء البِرَك،
ولامعة على البلاط، أشياء قديمة غامضة

هناك كان ينتشر قديماً معرض وحوش
هناك، كنت أرى صباحاً، في الوقت الذي تحت السماوات
الباردة والمضيئة، كان العمل يستيقظ حيث شبكة الطرق
تدفع إعصاراً مظلماً في الهواء الصامت.

إوزة كانت قد فرَّت من قفصها
وبقائمتيها الراحيتين تمسح البلاط الناشف
وعلى الأرض الخشنة تجر جناحها الأبيض
قرب جدول لا ماء فيه تفغر الإوزة منقارها

كانت تسبح بعصبية وجناحاها في التراب
وكانت تقول وقلبها مُترع بجمال بحيرتها في مسقط رأسها
"أيها الماء، متى تمطر إذن؟ متى ترعد صاعقة؟".
أرى هذا التعيس، أسطورة غريبة وقدرية

نحو السماء أحياناً، كإنسان أوفيد(*)
نحو السماء الساخرة والزرقاء بوحشية
على عنقها المتشنج تمدّ رأسها المتلهف
كأنها كانت تتوجه باللوم إلى الله!

باريس تغيرت! ولكن لا شيء تحرَّك
في كآبتي! قصور جديدة، إصقالات، قوالب،
ضواحٍ قديمة، كل هذا بالنسبة إليَّ ترميز
وأغلى ذكرياتي أثقل من الصخور

أمام هذا اللوفر أيضاً صورة تضطهدني:
أفكِّر بإوزتي الكبيرة وبحركاتها المجنونة
كالمنفيين، مثيرةً للسخرية وسامية
وتقضمها رغبة بلا هُدنة! ومن ثمَّ أفكر فيكَ

أندروماك وقعت بين ذراعي زوج كبير
غَنَمة رخيصة، في يد باريس(*) الساحر

(*) Ovide أوفيد (43 ق.م – 17 م): شاعر روماني يُعتبر أحد أعظم الشعراء في العصور القديمة.

(*) باريس وهكتور وهيلنبيس: أبطال أسطوريون يونانيون ظهروا في حرب طروادة.

قرب قبر فارغ خاضعة بافتتان
أرملة هكتور(*) واحسرتاه وزوجة هيلنبيس(*)!

أفكر في الزنجية، الهزيلة والمسلولة
وهي تتخبط في الوحل وتبحث والعين تائهة
وجوز الهند غائب عن أفريقيا الساحرة
وراء سور الضباب الشاسع

إلى كل من أضاع الذي لم يوجد
أبداً، أبداً! إلى الذين رووا بدموعهم
ورضعوا الألم كذئبة طيبة!
إلى اليتامى الهزيلين الذابلين كالأزهار

هكذا في الغابة حيث روحي منفية
ترن ذكرى قديمة بأقصى ما يستطيع أن ينفخ البوق!
أفكر في البحّارة المنسيين في جزيرة،
في الأسرى، في المهزومين، وفي آخرين أيضاً!

الحب الأكذوبة

L'Amour du mensonge

عندما أراك تمرين، يا عزيزتي اللامبالية
في حقل الآلات الموسيقية التي تتكسر في السقف
تُقطّعين مشيتك المتناغمة والبطيئة
وتنــــزهين سأم نظراتك العميقة،

عندما أتأمل، في نار البوتوغاز الذي يلوّن
جبهتك الشاحبة، المحمَّلة بإغراء معتل
حيث مشاعل المساء تُشعل شفقاً،
وحيث عيناك الجذابتان كعينين في صورة،

أقول في نفسي: كم هي جميلة وطازجة بغرابة!
الذكرى الممتلئة الرائعة والبرج الثقيل،
التاج، وقلبه، ينضج كدراقة
ناضج كجسمه لحب معقّد

هل أنتِ ثمرة خريف ذات طعم مَلِكِي؟
هل أنتِ وعاء كئيب ينتظر بعض الدموع،
عطرٌ يحلم بواحات بعيدة
مخدة للمداعبة، أو سلة من الزهور؟

أعلم أن هناك عيونا كئيبة جداً
لا تخفي أبداً أسراراً غالية
عُلَبَ جواهر من دون جواهر، قلادات من دون ذخيرة
أكثر فراغاً، أكثر عمقاً منكِ أيتها السماوات

ولكن ألا يجب أن تكوني الظّلَ
لتُفرِحي قلباً يهرب من الحقيقة؟
ألا تهم حماقتك أو لامبالاتك؟
قناع أو ديكور، تحية! أعبد جمالك.

الحب والجمجمة

L'Amour et le crâne

الحب جاثم على جمجمة

الإنسانية

وعلى هذا العرش يقبع المدنَّس

بسخرية وقحة

ينفث فقاعات مستديرة بابتهاج

تتصاعد في الهواء

كأنها ترغب في جمع العوالم

في قاع الأثير

الكوكب المشع والهزيل

ينطلق كبيراً

يصدع ويتفُّ روحه النحيلة

كحلم ذهبي

أسمع الجمجمة في كل فقّاعة

تُصلّي وتتأوّه

"هذه اللعبة المتوحشة والمضحكة

متى يجب أن تنتهي؟"

لأن كلامك الفظ

ينتشر في الهواء

أيها الوحش القاتل، هذا مُخّي،

دمي ولحمي

سمو

Élévation

فوق المستنقعات، فوق الأودية،
الجبال، الغابات، الغيوم، البحار
فوق كل هذا الشمس، فوق كل هذا الأثير
فوق كل هذا تخوم الكُرات المرصعة بالنجوم

يا روحي، أنتِ تتحركين برشاقة
وكسابح جيد أُغمي عليه وسط الموج
أنتِ تشقّين بفرح المساحة الشاسعة العميقة
بلذة رجولية لا توصف

طيري بعيداً عن هذه الأوخام المَرَضيّة
اذهبـــي وتطهري في الفضاء الأعلى
واهلي، كمشروب ربّاني صاف،
النار المشعة التي تملأ الفضاءات الصافية

وراء الضجر والأحزان الكبيرة
التي تثقل الوجود المعتم بأثقالها
سعيد من يستطيع بجناح قوي
أن يتقدم نحو الحقول المضيئة والصافية

سعيد مَن بأفكاره يطير كالقُبَّرات
التي تحلِّق بحرية نحو السماوات صباحاً
الذي يحلِّق فوق الحياة ويعي من دون أي مجهود
لغة الأزهار والأشياء الخرساء!

ترتيلة إلى امرأة رائعة الجمال

Hymne à la beauté

هل أتيتَ من السماء العميقة أم خرجتِ من الهاوية
أيتها المرأة الرائعة الجمال؟ فنظرتك الجهنمية والرائعة
تسكب الجميل والجريمة بغموضٍ
ولهذا يمكن أن تُقارني بالخمرة.

أنتِ تحوين في عينك غروب الفجر
وتنشرين العطور كمساء عاصف
قبلاتك مُصْفاةٌ وثغرك قارورة
تجعل الفارس جباناً والطفل شجاعاً.

أخَرَجْتِ من الهاوية السوداء أم نـــزلتِ من الكواكب؟
فالقدر المسحور يتبع تنانيرك ككلب،
أنت تبذرين البهجة والنكبات بلا تَبَصُّرٍ
وتحكمين كل شيء ولا تستجيبين لشيء.

أنت تدوسين على الأموات، أيتها الرائعة، حيث تهزئين،
بحُلاك فالرعب ليس هو الأقل سحراً
ومن بين جواهرك الغالية كثيراً عليك،
يرقص الموت على بطنك المتعجرف بشغف.

الذبابة المفتونة تطير نحوك أيتها الشمعة
تفرقع، تلتهب وتقول: لنمجد هذا المصباح!
وينحني العاشق اللاهث على جميلته
بهيئة المحتضر يداعب قبره

سواء أجئتِ من السماء أم من الجحيم لا يهم
أيتها الرائعة! الوحش الضخم، المخيف والبريء
لو أن عينك، ابتسامتك، قدمك، فتحت لي باب
اللانهائي الذي أحب والذي لم أعرفه أبداً؟

من الشيطان أو من الله، لا يهم؟ أيها الملاك أو جنية البحر
لا يهم - أيتها الجنية في عيون المخمل،
الرتابة، العطر، الضوء، يا مليكتي الوحيدة! -
إذا أعدتِ العالم أقل قبحاً والثواني أقل ثقلاً؟

سمبر إيدام

Semper eadem

من أين جاءك، قولي، هذا الحزن الغريب
الصاعد كالبحر على الصخرة السوداء العارية؟
عندما قلبنا قام مرة بقطافه
فالعيش هو الألم، هذا سر معروف للجميع

ألم بسيط غير خفي
وكما فرحك ساطع للجميع
دعي البحث أيتها الفضولية الجميلة!
وعلى الرغم من أن صوتك يجب أن يكون عذباً، اصمتي

اصمتي، أيتها الجاهلة! فالنفس دائماً مفتونة
ثغر له ابتسامة الطفولة! أكثر من الحياة
الموت يجرنا عادة بأربطة دقيقة

دعي، دعي قلبـــي ينتشي بكذبة

يغطس في عينيك الجميلتين كما في حلم جميل

وينام طويلاً في ظل جفونك!

توافقات

Correspondances

الطبيعة معبد والناس فيه هياكل

تخرج منها عبارات غامضة

والمرء يمر من خلالها في غابات من الرموز

التي تتأملهُ بنظرات مألوفة.

ومثل أصداء ممتدة تمتزج من بعيد

في وحدة عميقة مظلمة

واسعة كالليل والضياء

تنتشر العطور والألوان والأصوات

هناك عطور طازجة كأجساد الأطفال

لذيذة كالمزمار، خضراء كالمراعي

وأخرى جافة.. غنية ومنتصرة

هناك امتداد لانهائي للأشياء

كالظل، والمسك، واللبان والبخور

التي تنشد ارتحال الروح والحواس

إلى عابرة

À une Passante

الشارع المدوي يعوي حولي

امرأة، طويلة، نحيلة، عبرت في حِداد كبير وألم مهيب

وبيدها المترفة ترفع الكشكش والحاشية وترقّصهما

رشيقة.. نبيلة بساقها الشبيهة بالتمثال

وأنا كنت أشرب، متشنجاً كغريب

في عينها تلك، السماء الداكنة حيث تنبت العاصفة

عذوبة مبهرة وسعادة قاتلة.

لمعة أعقبها ليل.. جمال عابر

جعلني بنظرة فجأة أولد من جديد

ألن أراه أبداً إلا في الأبدية؟

في موضع آخر، بعيد من هنا، متأخر، لا شيء ممكن

لأني أجهل إلى أين أنت تمربين، وأنت لا تعرفين إلى أين أذهب

يا أنتِ التي أحببتها، يا أنت التي عرفتِ ذلك

سماء غائمة

Ciel brouillé

قد يقولون إن نظرتك من ضباب حاجب،
عينك المكتنفة بالأسرار (هل هي زرقاء، رمادية أو خضراء؟)
هي بالتعاقب ناعمة، حالمة، قاسية،
تعكس تكاسل وشحوبة السماء

تذكرين هذه الأيام البيضاء، الفاترة والغائمة
التي تذيب القلوب المفتونة بالدموع
عندما، تضطرب من ألم مجهول يعصرها
فإن الأعصاب اليقظة كثيراً تسخر من الروح النائمة

أنت تشبهين أحياناً هذه الآفاق الجميلة
التي تشعل شموس الفصول المعتمة...
كما تتألقين أيتها اللوحة المخضلة
فلتوقد الأشعة الساقطة من سماء غائمة

أيتها المرأة الخطيرة، أيتها الأقاليم الجذابة!

سأعشق أيضاً ثلجك وصقيعك

وأغدو مشدوداً لشتاء من اللذات

قاس، أحدُ من الجليد والحديد

عطر دخيل

Parfum exotique

حينما تكون عيناي مغمضتين في مساء حار في الخريف

أتنشق عطر نهدك الملتهب

وأرى شواطئ سعيدة تمتد

وتبهر نيران شمس رتيبة

جزيرة كسلى حيث الطبيعة تعطي

أشجاراً غريبة وأثماراً لذيذة

ورجالاً أجسامهم نحيلة وقوية

ونساء تدهش عيني بصراحتها

منقاد بعطرك نحو مناطق خلابة

أرى شاطئاً يغصُّ بالأشرعة والسواري

جميعها مرهقة من جراء الملاحة المبهمة

فيما عطر النخلات الخضراء

يدور في الهواء ويملأ الأنف

تمتزج في نفسي أغنية البحارة

غسق الصباح

Le Crépuscule du matin

النوبة كانت تعزف في ساحات الثكنات

وهواء الصباح يلهب المصابيح

إنها ساعة حشد الأحلام المزعجة

والمراهقون السمر يتلوّون على مخداتهم

وكعين دامية تختلج وتضطرب

كان مصباح النهار يرسم بقعة حمراء

حيث الروح، تحت ثقل الجسم الخشن والثقيل

تقلد معارك المصباح والنهار

وكوجه مُترع بالدموع تلفحه النسائم

كان الهواء مُشبعاً برعشات الأشياء الهاربة

والرجلُ منهكاً من الكتابة، والمرأةُ من الحب

* * *

بدأ الدخان يتصاعد من المنازل هنا وهناك

وبائعات اللذة، جفن شاحب، ثغر فاغر،

يأخذن غفوهّن البلهاء

والمتسولات يسحبن نهودهن الضعيفة الباردة

وينفخن على جمراهّن وعلى أصابعهن

إنها الساعة، حيث تشتد آلام النساء عند الولادة

بين البرد والشُّح

كنحيب مقطوع بدم مزبد

صياح الديك في البعيد يمزق الهواء المعتم

وبحر من الضباب يغسل الأبنية

والمحتضرون في أعماق الملاجئ

ينفثون الحشرجة الأخيرة في شهقات غير منتظمة

وبائعات الهوى عدن منهكات من أعمالهن

* * *

الفجر المرتعش في ثوب وردي وأخضر

كان يتقدم ببطء على صحراء السين

وباريس المظلمة، تمسك أدواها

وهي تفرك عينيها كعجوز مجتهد

إلى سيئة الخلق

À Celle qui est trop gaie

رأسك، حركتك، مزاجك

جميلة كمنظر جميل

الضحك يلهو في وجهك

كنسيم طازج في سماء صافية

العابر الحزين الذي مَسَسْتِه

متألّق بالصحة

التي تتفجر كالضوء

من ذراعيكِ ومن كتفيكِ

الألوان الرّنانة

حيث تنثرين زينتك

تُلقي في أرواح الشعراء

صورة رقص الأزهار

هذه الفساتين المجنونة هي رمز

لروحكِ المبرقشة

مجنونة كما أنا مجنون

أكرهكِ بقدر ما أحبك!

مرة في حديقة جميلة

حيث كنتُ أجرُّ وَهَني

شعرتُ كما لو أني سُخرية

تمزق الشمس صدري

.

والربيع والاخضرار

أذلاّ قلبي

كما قاصصتُ على زهرة

وقاحة الطبيعة

كما لو أني أريد ليلاً

عندما ترن ساعة اللذة

نحو كنوزك

أن أزحف كجبان من دون ضوضاء

لأعاقب جسدك المبتهج

لأمزق صدرك المغفور له

وأجعل من خاصرتك المحيَّرة

جرحاً عريضاً ومحفوراً

وعذوبة مدوِّخة

من خلال شفتيك الطريفتين

الأكثر لمعاناً والأكثر جمالاً

نافثاً سُمِّي، يا أختي

ترميز

Allégorie

هذه امرأة جميلة ذات عنق ثري

في خمرها، تدع شعرها ينساب

برائن الحب، سموم المَقْمَرَة(*)،

تسخر من كل شيء ينـــزلق وكل شيء ينهك صوَّان جلدها

إنها تسخر من الموت وتستهزئ بالفجور.

هذه الوحوش حيث اليد التي تحك دائماً وتنهش

في هذه الألعاب المدمرة، مع ذلك محترمة

في هذا الجسد الجامد والمنتصب العظمة الفظة.

إنها تمشي كإلهة وتستريح كسلطانة

لديها فرحة إيمان المسلم

وفي ذراعيها المفتوحتين اللتين تحويان نهديها

تنادي بالعينين سلالة البشر

(*) المقَمرة: مكان لعب القمار.

إنها تعتقد، تعرف، هذه العذراء العاقر

ومع ذلك هي ضرورية لسير العالم،

كم هو جمال الجسد موهبة سامية

إنه عند كل فضيحة ينتزع المغفرة

هو يجهل الجحيم كما يجهل المَطْهَر

وحينما تأتي ساعة الدخول في الليل المظلم

يرى وجه الموت

وكذلك مولوداً جديداً - من دون حقد ولا ندم

معكوسية

Réversibilité

أيها الملاك الممتلئ بالفرح، هل تعرف الغم

الحياء، الندم، النحيب، الضجر،

وأمواج الرعب لهذه الليالي المرعبة

التي تضغط على القلب كالورقة حين ندعكها؟

أيها الملاك الممتلئ بالفرح، هل تعرف الغم؟

أيها الملاك الممتلئ بالطيبة، هل تعرف الحقد

والأكفَّ المقبوضة في الظل، ودموعَ الضغينة

متى يقرع الثأر طبله الجهنمي

ومن مواهبنا يصنع القائد؟

أيها الملاك الممتلئ بالطيبة، هل تعرف الحقد؟

أيها الملاك الممتلئ بالصحة هل تعرف المصابين بالحمّى

الذين يزحفون على طول جدران المستشفى الشاحب

كالمنفيين، بخطى متثاقلة
يبحثون عن شمس نادرة ويحركون شفاههم
أيها الملاك الممتلئ بالصحة هل تعرف المصابين بالحمى؟

أيها الملاك الممتلئ بالجمال، هل تعرف التجاعيد،
والخوف من الشيخوخة والعذاب القبيح
وقراءة صلاة التفاني المخيفة
في عيون تحدِّق طويلاً بشغف في عيوننا المتلهفة؟
أيها الملاك الممتلئ بالجمال هل تعرف التجاعيد؟

أيها الملاك الممتلئ بالسعادة، وبالفرح والأضواء
كان داود وهو على فراش الموت يطلب الصحة
في تصاعدات جسمك المسحور
ولكن منك، لن أتوسل، أيها الملاك، ومن صلواتك
أيها الملاك الممتلئ بالسعادة وبالفرح والأضواء!

جاك بريفير

Jacques Prévert

(1977-1900)

أغنية

Chanson

أيُّ وجود نحن

نحن كل الوجود

يا صديقتي

نحن كل الحياة

يا حبيبتي

عندما نحب

نحن نعيش

نحن نعيش

يعني أننا نحب

ونحن لا نعرف ما الحياة

ولا نعرف ما الوجود

ولا نعرف ما الحب

اليائس جالس على مقعد

Le Désespoir est assis sur un banc

في إحدى الحدائق العامة، على مقعد
رجلٌ يناديك عندما تمرُّ
معه منظار، ويرتدي زيّاً رمادياً
ويدخِّن سيكاراً صغيراً، وهو جالس
ويناديك عندما تمر
أو ببساطة يرسم لك إشارة
يجب عليك ألاّ تنظر إليه
عليك ألاّ تستمع له
عليك أن تمر
كأنك لم تره أبداً
و لم تسمعه أبداً
إذا نظرت إليه
يرسم لك إشارة، ولا أحد

يمنعك من الذهاب لتجلس قريباً منه
عندها ينظر إليك ويضحك
وأنت تتألم بفظاعة
والرجل يتابع الضحك
وأنت تضحك ضحكته ذاتها
تماماً

وبقدر ما تضحك تتألم
بفظاظة
وبقدر ما تتألم تضحك
بما لا يقبل الاعتذار
وتبقى هناك مسمّراً في مكانك
تضحك وأنت على المقعد
أطفال يلعبون قريباً منك
عابرون يعبرون
بهدوء
عصافير تطير
من شجرة

إلى شجرة

وأنت تبقى هناك

على المقعد

وأنت تعلم.. تعلم جيداً

أنك أبداً سوف لن تلعب

كما يلعب هؤلاء الأطفال

أنت تعلم أنك أبداً سوف لن تعبر

بهدوء

كهؤلاء العابرين

وأنك أبداً سوف لن تطير

من شجرة إلى شجرة

كهذه العصافير

عند بائعة الأزهار

Chez la Fleuriste

رجل ما دخل محل بائعة الأزهار

واختار مجموعة من الأزهار

البائعة غلفت الأزهار

الرجل وضع يده في جيبه

ليبحث عن الدراهم

الدراهم التي سيدفعها ثمن الأزهار

ولكنه في الوقت نفسه

فجأة

وضع يده على قلبه

وسقط

في الوقت الذي سقط فيه

تدحرجت الدراهم على الأرض

ثم سقطت الأزهار

وكذلك الرجل

في الوقت نفسه الذي سقطت فيه الدراهم
وبائعة الأزهار بقيت هناك

مع الدراهم التي تتدحرج
مع الأزهار التي أُتلفت
مع الرجل الذي مات
بكل تأكيد كل هذا حزين جداً
وعلى بائعة الأزهار
أن تفعل شيئاً ما
ولكنها لا تعرف ماذا وكيف
إنها لا تعرف
من أين تبدأ.
هناك أشياء كثيرة لتفعلها
مع هذا الرجل الذي مات
مع هذه الأزهار التي أُتلفت
مع هذه الدراهم
التي لم تتوقف عن التدحرج.

أنا كما أنا

Je suis comme je suis

أنا كما أنا

أنا خلقت هكذا

عندما تكون لديَّ رغبة في الضحك

نعم.. أنا أضحك حتى القهقهة

أحب مَن يحبني

فهل هذا خطئي

إن لم يكن مثلي

الذي أحبه كل مرة؟

أنا كما أنا

أنا خلقت هكذا

ماذا تريد بعد؟

ماذا تريد مني؟

أنا خلقْت لأسعِدَ الآخر

ولا تغيير في ذلك

كعبا حذائي عاليان

وفخذاي صَلبان

وعيناي محاطتان بالزرقة كثيراً

وبعد؟

ماذا يعني لك هذا؟

أنا كما أنا

أسعِدُ مَن أسعِد

ماذا يعني لك هذا؟

هذا ما حدث لي

نعم أحب شخصاً

نعم شخص ما يحبني

كالأطفال الذين يحب بعضهم بعضاً

وببساطة يعرفون كيف يحبون

يحبون... يحبون...

لماذا تسألني؟

أنا هنا لأسعدك

ولا تغيير في ذلك

رأيت كثيرين

J'en ai vu plusieurs

رأيت واحداً جالساً على قبعة آخر

كان شاحباً

وكان يرتجف

كان ينتظر شيئاً ما.. ليس المهم ما هو...

الحرب... نهاية العالم...

وكان من المستحيل على الإطلاق أن يقوم بأي حركة أو

أن يتكلم

والآخر

الآخر الذي كان يبحث عن قبعته كان شاحباً

أيضاً

وكان يرتجف أيضاً

ويردد بلا انقطاع:

قبعتي.. قبعتي

وكانت لديه الرغبة في البكاء

رأيت واحداً كان يطالع الصحف

رأيت واحداً كان يحيي العلم

رأيت واحداً كان يرتدي السواد

ولديه ساعة

وسلسلة ساعة

ومحفظة نقود

ووسام جوقة الشرف

وملقط أنف

رأيت واحداً كان يجر ابنهُ بيده

وكان يصرخ...

رأيت واحداً كان يصطحب كلباً

رأيت واحداً معه عصا سيف

رأيت واحداً كان يبكي

رأيت واحداً كان يدخل إلى الكنيسة

ورأيت آخر كان يخرج منها

أغنية السجّان

Chanson du Geolier

إلى أين تذهب أيها السجان الجميل

مع هذا المفتاح الملطخ بالدم؟

أذهب لأحرِّر التي أحبها

إذا كان هناك من وقت

تلك التي سجنتها

بوحشية رقيقة

للغز في رغبتي في الأكثر

في تعذيبي

في أكاذيب المستقبل

في حماقات القسَم

أريد أن أحررها

أريدها أن تصبح حرة

وأن تنساني

وأن تذهب

وأن تعود

وأن تحبني أيضاً

أو أن تحب آخر

إذا كان يرضيها آخر

وإذا بَقيتُ وحيداً

وإذا ذهبَتْ هي معه

فسوف أحفظ فقط

سوف أحفظ دائماً

في تجويفة يديَّ

حتى آخر يوم من أيامي

نعومة نهديها المتكورين بالحب.

كي ترسم صورة عصفور

Pour faire le portrait d'un oiseau

ارسمْ أولاً قفصاً

بباب مفتوح

ثم ارسمْ

أي شيء ظريف

أي شيء بسيط

أي شيء جميل

أي شيء نافع

للعصفور

ثم فيما بعد ضعِ الفخَّ مقابل شجرة

في حديقة

في غيضة

أو في غابة

واختبئْ خلف الشجرة

من دون أن تتكلم

أن تتحرك

أحياناً يصل العصفور على عجل

لكنه يستطيع أيضاً أن يقضي سنين طويلة

قبل أن يقرر

لا تسأمْ

انتظرْ

انتظرْ إذا كان يجب الانتظار طيلة سنوات

سرعة وصول العصفور أو بطئها

لا علاقة لهما

بنجاح اللوحة

عندما يصنل العصفور

إذا وصل

احتفظْ بالصمت العميق

انتظرْ إلى أن يدخل العصفورُ القفصَ

وعندما يدخل

أَغلِقْ بهدوء الباب بالمِرْقاش

ثم امحُ قضبان القفص واحداً واحداً

مع أخذ الحيطة أن تلامس أي ريشة من ريشات العصفور

ارسمْ بعدها صورة شجرة

واخترِ الأجمل من أغصانها

للعصفور

ثم ارسمْ أيضاً الاخضرار وعذوبة الهواء

وغبار الشمس

وضجيج الحيوانات آكلة العشب في حرارة الصيف

ثم انتظرْ ليقرر العصفور أن يغني

إذا لم يغنِّ العصفور

فهذه إشارة سيئة

إشارة إلى أن اللوحة سيئة

ولكن إذا غنّى فإنها إشارة جيدة

إشارة إلى أنك تستطيع أن تشير

فيما بعد تنــزع بكل هدوء

إحدى الريشات من العصفور

وتكتب اسمك في زاوية من اللوحة.

باقة الزهر

Le bouquet

ماذا تفعلين هناك أيتها الفتاة الصغيرة

مع هذه الأزهار المقطوفة حديثاً؟

ماذا تفعلين هناك أيتها الفتاة اليافعة

مع هذه الأزهار، هذه الأزهار اليابسة؟

ماذا تفعلين هناك أيتها المرأة الجميلة

مع هذه الأزهار الذاوية؟

ماذا تفعلين هناك أيتها المرأة العجوز

مع هذه الأزهار التي تموت؟

أنتظرُ المنتصرَ

البائس

Le Cancre

برأسه رسم إشارة لا

لكنه في قلبه قال: نعم

قال نعم للذي يحبه

قال لا للمدرس

كان واقفاً

وقد سُئل

وكل المسائل وضعت أمامه

فجأة اجتاحه جنون الضحك

ومحا كل شيء

الأرقام والكلمات

التواريخ والأسماء

الجُمل والخِدَع

وعلى رغم تهديدات المعلم

وتحت صياح الأطفال العباقرة

وبكل الطباشير الملونة

على اللوح الأسود من التعاسة

رسم وجه السعادة

فطور الصباح

Déjeuner du Matin

وضع القهوة
في الفنجان
وضع الحليب
في فنجان القهوة
وضع السكَّر
في قهوة الحليب
وبملعقة صغيرة
حرَّك
شرب قهوة الحليب
وترك الفنجان
من دون أن يكلمني
أشعل
سيجارة
وعمل دوائر
من الدخان

وضع الرماد

في المنفضة

من دون أن يكلمني

من دون أن ينظر إليَّ

نهض

وضع

قبعته على رأسه

وضع معطفه الواقي من الشتاء

لأنها كانت تمطر

ورحل

تحت المطر

من دون أن ينبس ببنت شفة

من دون أن ينظر إليَّ

أما أنا فأخذت

رأسي بين يدي

وبكيت

أغنية وسط الدم

Chanson dans le sang

هناك بِرَك من الدم في العالم

إلى أين يذهب كل هذا الدم المنتشر؟

هل الأرض التي تشربه وتنتشي

مضحكة من السكر أيضاً

بهذه الرزانة... بهذه الرتابة؟

لا.. الأرض لا تنتشي أبداً

الأرض لا تدور بالعرض

هي تدفع بانتظامٍ عجلتها الصغيرة، الفصول الأربعة

الشتاء... الثلج...

البَرَد... الأيام الجميلة

أبداً هي لا تسكر

إنها لا تكاد تسمح لنفسها من وقت إلى آخر

حتى يحدث بركان صغير تعيس

فتدور الأرض

تدور مع أشجارها... وحدائقها... وبيوتها...

تدور مع بِرَكِ الدم الكبيرة

وكل المخلوقات الحية تدور معها و...

تنـــزف...

هي.. ويا لعجب الأرض

تدور وكل المخلوقات الحية تأخذ بالنحيب

يا للعجب!

هي تدور

ولا تتوقف عن الدوران

والدم لا يتوقف عن الجريان...

إلى أين يذهب هذا الدم المنتشر

دم الشهداء... دم الحروب

دم الشقاء...

ودم البشر المعذبين في السجون

دم الأطفال المعذبين بهدوء على أيدي آبائهم وأمهاتهم...

ودم البشر الذين ينـــزفون من رؤوسهم

في الأكواخ...

ودم بنّاء السطوح

عندما ينـــزلق ويقع من على السطح

والدم الذي يجيء ويتدفق

مع وليده... مع طفله الجديد

الأم التي تصرخ... الطفل يبكي

الدم يجري... الأرض تدور

الأرض لا تتوقف عن الدوران

الدم لا يتوقف عن الجريان

إلى أين يذهب كل هذا الدم المنتشر

دم ضاربـــي المطارق

دم الأذلاء

دم المنتحرين...

دم المقتولين بالرصاص

دم المحكومين بالإعدام

ودم الذين يموتون هكذا... بحادث

في الشارع يمر كائن حي

بكل دمه الذي في داخله

وفجأة نراه ميتاً

وكل دمه خارج جسده

والأحياء الآخرون يُزيلون دمه

ويحملون جسده

ولكن الدم عنيد

وهناك حيث كان الموت

مبكراً يصبح أسود

قليل من الدم ينتشر أيضاً...

دم متخثر

صدأ الحياة صدأ الأجساد

دم مخثّر كروب الحليب

كالحليب عندما يدور

عندما يدور كدوران الأرض

كما الأرض التي تدور

مع حليبها... مع بقراها

مع أحيائها... مع أمواها...

الأرض التي تدور مع أشجارها... مع أحيائها... مع بيوتها...

الأرض التي تدور مع الأعراس...

مع الجنازات...

مع المحارات...

مع الحشود...

الأرض التي تدور وتدور

مع سواقي الدماء الكبيرة

بربارة

Barbara

تذكري يا بربارة

كانت تمطر بلا انقطاع في بريست ذلك اليوم

وكنت تسيرين مبتسمة

متهللة.. مفتونة.. منسابة

تحت المطر

تذكري يا بربارة

كانت تمطر بلا انقطاع في بريست

حين التقيتك في شارع سيام

وكنت تبتسمين

وأنا كنت أبتسم أيضاً

تذكري يا بربارة

أنتِ التي لم أكن أعرفها أبداً

أنتِ التي لم تكن تعرفني أبداً

تذكري

تذكري في مثل ذلك اليوم نفسه

لا تنسي أبداً

رجلاً كان يسكن في رواق

ونادى باسمك

بربارة

فركضت نحوه تحت المطر

منسابة.. مفتونة.. متهللة

ورميت بنفسك بين ذراعيه

تذكري هذا يا بربارة

أنا لا أستهين بك إذا قلتُ "أنت"

فأنذأقول "أنتِ" لكل الذين أحبهم

حتى إن لم أرهم سوى مرة واحدة

أقول "أنت" لكل الذين يحبون بعضهم

حتى إن لم أعرفهم

تذكري يا بربارة

لا تنسي أبداً

هذا المطر الهادئ والمحظوظ

على وجهك البشوش

على هذه المدينة الهانئة

هذا المطر على البحر

على السفن

على قارب الدُّوِّيسان

آه بربارة

أي بلاهة تلك الحرب

التي أصبحْتِ أنت فيها

تحت هذا المطر الحديدي

من نار الفولاذ من الدم

والذي كان يشدّك بين ذراعيه

بحب

هل مات واختفى أمْ أنه ما زال حياً؟

آه يا بربارة

إنها تمطر بلا انقطاع في بريست

كما كانت تمطر سابقاً

ولكن لا يوجد وجهَ شبَهٍ فكل شيء فاسد

هذا مطر جنائزي مرعب وموحش

إنه ليس أكثر من عاصفة

من حديد فولاذي الدم

إنه ببساطة غيوم

تنفق كالكلاب

كالكلاب التي تختفي

في مجرى الماء في بريست

وتذهب لتتعفن في البعيد

في البعيد.. البعيد البعيد من بريست

حيث لا يبقى شيء

شارع السين

Rue de Seine

في المساء

في شارع السين وفي تمام الساعة العاشرة والنصف

وفي زاوية من شارع آخر

رجل يترنح.. رجل شاب يضع قبعة

ويحمل مظلة

وامرأة تهزهُ

تهزهُ

وتتحدث إليه

وهو يهزّ رأسه

قبعته مائلة تماماً

وقبعة المرأة تكاد تقع من الخلف

والاثنان كانا شاحبين

كان الرجل بالتأكيد يرغب في الرحيل... في الاختفاء... في الموت

لكن المرأة كانت لديها رغبة ساخطة في الحياة

وصوتها

صوتها الذي يهمس

بحيث لا نستطيع سماعه

هو أنين

نسق متسلسل

صيحة..

هذا الصوت متلهف تماماً

وحزين

وحي...

وليد عليل يرتجف برداً على قبر

في مقبرة الشتاء

وصرخة كائن وأصابع خرجت من وراء ستار مرخى على الباب

أغنية

عبارة

هي نفسها دائماً

عبارة

مُعادة

بلا توقف

بلا إجابة

الرجل ينظر إليها وعيناه تدوران

ويقوم بحركات بذراعيه

كغريق

وتعود العبارة

شارع السين في زاوية من شارع آخر

تتابع المرأة

بلا كلل...

تتابع سؤالها المضطرب

جرح من الصعب أن يلتئم

بيار.. قل لي الحقيقة

بيار.. قل لي الحقيقة

أريد أن أعرف كل شيء

قل لي الحقيقة

سقطت قبعة المرأة

بيار.. أريد أن أعرف كل شيء

قل لي الحقيقة

سؤال حائر وعظيم

بيار لا يعرف شيئاً حتى الإجابة

إنه ضائع

هذا الذي اسمه بيار...

له ابتسامة يمكن أن يمطها ويجيب

اهدئي.. أنت مجنونة

ولكنه لم يكن يعتقد ما يقوله

ولكنه لم يكن يرى

إنه لا يستطيع أن يرى كيف

فمه مجنون بابتسامته

إنه يختنق

العالم ينام فوقه

ويخنقه

إنه مسجون

محاصر بوعوده

لقد طُلِبت منه فاتورة الحساب

وفي المقابل

ماكينة حساب

ماكينة لكتابة رسائل الحب

ماكينة للعذاب

أمسكته

تعلقت به

بيار قل لي الحقيقة

ساحة كاروزيل

Place du Carrousel

في ساحة كاروزيل

وفي نهاية يوم جميل من أيام الصيف

كان يسيل على بلاط الشارع

دم حصان فُكَّ من عِقاله

بسبب حادث

والحصان كان واقفاً هناك

واقفاً لا يتحرك

على ثلاث أرجل

والرجل الرابعة مجروحة

مجروحة ومقطوعة

ومعلقة

والحصان واقف

على جانب

لا يتحرك

ومعه الحوذي
والعربة هي أيضاً لا تتحرك
عديمة الجدوى كساعة مكسورة

والحصان صامت
لا يشكو
لا يصهل
كان هناك
ينتظر
وكان جميلاً جداً وحزيناً جداً وبسيطاً جداً
وعاقلاً جداً
بحيث لم يكن من الممكن أن يحتفظ بدموعه
يا لها من
حدائق مفقودة
ينابيع منسية
مروج مشمسة
يا له من ألم
بهاء وحظ عاثر

دم وأضواء

جمال مذهل

أخوّة

يجب أنْ لا...

Il ne faut pas...

يجب أن لا ندع المثقفين يلعبون بعيدان الثقاب

لأنه يا سادتي عندما نترك

العالم العقلي وحيداً يا سادتي

لا يتألق أبداً

وما يكاد يصبح وحيداً

حتى يعمل بتعسف

مشيّداً لنفسه

وبسخاء مزعوم

صرحاً جاهزاً

إكراماً لعمال البناء

لنردِّد ذلك يا سادتي

عندما نترك

العالم العقلي وحيداً

يكذب

بغرابة!

البريد الإلكتروني للمترجم
rkaoury@yahoo.com